مجلـــة بدايـــات
Email :bidayat@lagh-univ.dz Revue :Bidayate ISSN: 2676-198X
المجلد: الأول01 / العدد: الثالث03 / ديسمبر 2019/ ص ص: 67-78

طرائق التعامل مع المفاهيم الأصلية في التأليف الغربي وضبط ترجمة المصطلح في البحث اللساني العربي

Methods of dealing with the original concepts in Western authorship and controlling the translation of the term in Arabic linguistic research

الدكتورة: صفية بن زينة
قسم اللغة العربية / كلية الآداب والفنون/ جامعة الشلف (الجزائر)
Safou_nour@hotmail.com
0776165790

تاريخ الإرسال: 2019/10/18	تاريخ القبول:2019/11/21	تاريخ النشر 2019/12/25

ملخص البحث

تقترح هذه الورقة البحثية رؤية ممكنة لواحدة من أهم القضايا التي تخص مجالات البحث اللساني العربي المنبثق عن تلقي الباحث الأكاديمي للمصطلحات الغربية الخاصة بالمدارس اللسانية الأوروبية منها والأمريكية على وجه الخصوص من تباين في المفاهيم وتشتت في المصطلحات.

ويكتسي الحديث عن المصطلح اللساني ودوره في بناء المعرفة أهمية قصوى قديما وحديثا، وبات الربط بينهما أمرا شائعا شدّ اهتمام الباحثين؛ فأظهرت دراساتهم أن عملية ضبطه ومحاولة توحيده ليست مسألة اعتباطية مرتبطة بميولات فردية أو تغيرات مزاجية، ولا بطرق ثابتة، بل إن هذه العملية تهم الباحث بشكل جدّي. وفاعليتها ونجاح طرق إيصالها له تقتضي بالضرورة أن تستند على أسس معرفية وعلمية متينة.

لذا تطمح هذه الدراسة إلى كشف الستار عن آليات التعامل مع التباين المصطلحي والمفاهيمي في بعض القضايا اللســانية، لأننا بحاجة إلى معرفة خلفيات تلقي الباحث العربي لمصطلحات اللسانيات الغربية، وكيفياته وأساليبه والتراكم المعرفي الذي يصاحب هذا التلقي على مستوى الترجمة وآلياتها المختلفة، وقضايا هذا النشاط الذي يعد الوسيلة الأولى للمعرفة اللسانية الحديثة والمعاصرة في بيئتنا العربية.

ولذلك جاءت هذه الدراسة لتطرق موضوعا دقيقا، يصب في قضايا تناول الباحث العربي للمصطلح اللساني الغربي عن طريق الترجمة وصولا إلى الإبداع العلمي في مجال البحث اللساني العربي. وذلك باستثمار المفاهيم اللسانية الغربية وجعلها دعامة قوية لتطوير وتسهيل الولوج إلى المعرفة اللغوية العربية.

الكلمات المفتاحية: البحث اللساني، المصطلحات، المفاهيم.

Abstract:

This research proposes a possible vision for one of the most important issues related to the fields of Arabic linguistic research, which stems from the receipt of the academic researcher of the Western terminology of the European and American linguistic schools, in particular the differences in concepts and the

dispersion of terminology, then studying the linguistic term and its role in the construction of knowledge is of utmost importance in ancient and modern times, and the link between them is common among researchers. Their studies have shown that the process of controlling and trying to unify it is not an arbitrary issue associated with individual or mood changes. However, this process is of serious concern to the researcher. Their effectiveness and the success of their delivery methods necessarily require that they be based on solid knowledge and scientific bases. Therefore, this study aspires to reveal the mechanisms of dealing with the conceptual and conceptual differences in some linguistic issues, because we need to know the background of the Arab researcher receiving the terminology of the Western linguistics, its methods and the accumulation of knowledge that accompanies this reception at the level of translation and its various mechanisms, And the issues of this activity, which is the first means of modern and contemporary linguistic knowledge in our Arab environment. Therefore, this study came to address a precise subject, which touches on issues addressed by the Arab researcher of the Western linguistic term through translation, leading to scientific creativity in the field of Arabic linguistic research. By investing in Western linguistic concepts and making them a strong pillar to develop and facilitate access to Arabic linguistic knowledge.
key words : Linguistic search, terminology, concepts.

مقدمة:

تعد مذكرة التخرّج التي يسهر الطالب على إنجازها في زمن محدّد، كتتويج لمساره الدراسي، غير أنه يجد نفسه ــ في كثير الأحيان ــ بين مطرقة الزمن وسندان المادة اللغوية التي يعمل على النهل منها؛ لتستقيم لديه مذكرته في أحسن حلّة علمية، بحسب الموضوع الذي اختاره ليزيل عجمة ما انبهم في مادته، مقدّما إيّاها وفق منهجية علمية أكاديمية، وعلى الرغم من وضوح معالم هذه المنهجية إلاّ أنّ الطالب لا يزال يعاني من صعوبة تعامله مع المصطلح، وخاصة المصطلح اللساني، فتجده يورده بلغة أجنبية أو معرّبا أو مترجما، ويستند في بعض الأحيان على ما ورد في مقالات علمية لها علاقة بموضوع بحثه، ومع ذلك كلّه يهمل الاعتماد على المعاجم اللسانية المختصة التي تعدّ المرجع الرئيس للمصطلح اللساني من أجل الوقوف على مفهومه أولا واللفظ المتداول الدال على هذا المفهوم.

تروم هذه الدراسة البحث عن طرائق التعامل مع المفاهيم الأصلية في التأليف الغربي وضبط ترجمة المصطلح في البحث اللساني العربي؛ حيث نسلط دائرة الضوء على جملة الأخطاء التي يقع فيها الطلبة حين تعاملهم مع المصطلحات اللسانية سواء المنهجية منها أو المرجعية التي اعتمدوها لإيراد هذه المصطلحات في بحوثهم العلمية؛ من أجل تصويبها وفق ما يقتضيه المنهج العلمي السديد.

المعضلة الاصطلاحية: أصبح الطالب الجامعي في مجال اللسانيات – علي وجه الخصوص – حائرا من أمره في مواجهة الكم الهائل من المصطلحات اللسانية التي ينتجها الباحثون الغربيون، وكثيرا ما يحيل كل مصطلح على نظرية أو حلقة أو مدرسة لسانية

معينة، ولما كان لكل نظرية أو منهج لساني خصوصيته الثقافية والفكرية، وإطارها الفلسفي المحدد، وهي عوامل تنفرد بها كل بيئة عن البيئات الأخرى. ولذلك فإن جميع المعطيات التي ترتبط بهذه البيئة لا يمكن نقلها بمعزل عن خلفياتها المعرفية ، لأن كل فكر لساني ينشأ ضمن مرجعية فكرية خاصة به يفرض على المترجم الوعي بهذه الأسس المعرفية للتحكم السليم في استعماله. وقد واجهت هذه الحركة كماً هائلاً من المصطلحات الناتجة عن التطور المذهل الذي عرفته اللسانيات ومختلف مدارسها البنوية الوصفية والتوليدية التحويلية والتوزيعية والوظيفية ، فكان هذا التراكم الاصطلاحي هو المشكل الأول الذي واجه اللسانيين العرب "ولعل من أهم القضايا التي تشغل بال الباحثين إشكالية المصطلح اللساني وكيفية تعريبه"[1]. ويقول عبد السلام المسدي في هذا الصدد: "فاختلاف الينابيع التي ينهل منها علماء العرب اليوم بين لاتيني وسكسوني وجرماني وسلافي، وطبيعة الجدة المتجددة التي تكسو المعرفة اللسانية المعاصرة، وتراكب الأدوات التعريفية والمفردات الاصطلاحية مما يقتضيه تزاوج مادة العلم وموضوعه في شيء واحد هو الظاهرة اللغوية، ثم طفرة الوضع المفهومي وما ينشأ عنه من توليد مطرد للمصطلح الفني بحسب توالي المدارس اللسانية وتكاثر المناهج التي يتوسل كل حزب من المنتصرين للنظرة الواحدة أحياناً. كل ذلك قد تضافر، فعقّد المصطلح اللساني، فجعله إلى الاستعصاء والتخالف أقرب منه إلى التسوية والتماثل"[2].

إن المعضلة الاصطلاحية من شأنها أن تقف عائقاً أمام مردودية العلم ونجاعته ، وقد أشار ابن خلدون – قديماً – إلى أن كثرة التآليف في العلوم تعوق عن التحصيل لاختلاف الاصطلاحات في التعليم[3]. إذ تمكنت اللسانيات من إدخال تغييرات جذرية على التاريخ اللغوي القديم، واستطاع الدرس اللساني الخروج من المعيارية التاريخية إلى مجال الآنية الوصفية، بفضل جهود العالم اللغوي السويسري (دي سوسير) الذي يعد "الشخصية الرئيسية في تغيير مواقف القرن التاسع عشر لمواقف القرن العشرين على نحو مهم هو اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير، الذي عرف أولاً في المجتمع العلمي من خلال مساهمة مهمة في علم اللغة الهند وأوربي المقارن، بعد دراسته في ليبزج مع أعضاء مدرسة القواعديين الجدد"[4]. فقد أصبح من التقليدي أن نعتبر فرديناند دي سوسير "أبو" اللسانيات، فبفضله كسبت الدراسة اللسانية مرتبة العلوم[5].

وقد ظهر دي سوسير ضمن "مناخ معرفي محكوم بالنسيج المعرفي الذي كان سائداً طيلة هذا القرن [التاسع عشر] حيث كان يسود جل المعارف والعلوم منزعان بهما تحددت فلسفة المناهج المعرفية كلية: فأما أولهما، فهو منزع الوعي بأثر التاريخ وفعله في صيرورة الإنسان، وأما ثانيهما فمنزع البحث عن القوانين المتحكمة في كل الظواهر: الطبيعية منها والاجتماعية"[6].

أما كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة " cours de linguistique générale "، فقد لقي اهتمام الفكر العالمي به، حيث ترجم إلى اليابانية سنة 1928، وإلى الألمانية سنة 1931، وإلى الروسية سنة 1933، وظهرت ترجمته إلى الإسبانية سنة 1945، ولم يقرأه أهل الإنجليزية بها إلا سنة 1959، ثم نقل إلى الإيطالية سنة 1967[7].

وقد أحدث كتاب دي سوسير عدة تغييرات في الدراسات اللسانية وأعطاها صبغة علمية، إذ أصبح قادراً على "أن يضاهي التخصصات العلمية في معارف مختلفة لكونه أخضع حقله للنزعة الوضعية، فبات أنموذجاً للعلوم الإنسانية لكي تخرج من دائرة الدرس الضيق إلى دائرة العلم الفسيح. فبعدما استفادت من مرجعيات علمية مختلفة، تحولت هي الأخرى إلى مرجعية فكرية بدأت تستمد منها بعض العلوم جهازها المفاهيمي ومعجمها الاصطلاحي" [8]. "فاللسانيات فرضت وجودها على كل ميادين المعرفة الإنسانية، لأنها تبحث في أصولية آلية الإنتاج العلمي التي تعزز بها كل العلوم: اللغة. وهكذا تمكنت اللسانيات من إعادة هيكلة ومنهجة العلوم الإنسانية الحديثة، وجعلتها سهلة التناول، كما جعلت المثقف يجدد نفسه باستمرار"[9].

أما المحدثون من اللسانيين العرب فقد أدركوا أهمية اللسانيات ووجوب الوقوف عند أسبابها والإحاطة بنتائجها قصد تقويم العمل اللغوي العربي القديم، ولأجل ذلك أولوا عناية بالغة الأهمية في التعريف بها والقيام بترجمة أهم مؤلفاتها ، فظهرت منذ الستينيات حركة ترجمة حثيثة ، وقد واجهت تراكما اصطلاحيا كان المشكل الأول الذي واجه اللسانيين العرب. والذي شغل بال الباحثين في كيفية تعريبه. كما أن الاختلاف والتباين في إطار ترجمة عدد يسير من المصطلحات التي تعد العمود الفقري للسانيات باعتبار المصطلحات مفاتيح العلوم – بتعبير الخوارزمي–، والتي انبنت عليها جل المدارس والاتجاهات اللسانية الحديثة يعود إلى أسباب عديدة ومتنوعة، منها ما يخص المترجم ذاته حيث يفترض أن يكون متقنا للغتين المنقول منها والمنقول إليها ، وملما بالفكرة العلمية أو الموضوع الذي يقوم بترجمته ، كما أك غياب الهياكل والمؤسسات التي تسعى إلى توحيد المصطلحات في مختلف الحقول المعرفية. ومع اشتداد هذه الحاجة المعرفية، أصبحت ترجمة المصطلحات اللسانية ومواكبة اشتقاقاتها الحديثة ضرورة إنسانية ملحة في التواصل بين اللغات وتعزيز ثروتها المعرفية.

وانطلاقا من هذا الدور المعرفي الذي يربط المصطلح اللساني بالترجمة سنسعى إلى عرض جملة من الإشكالات التي ستقف عند الصعوبات التي يعاني منها الطالب الجامعي في تعامله مع المصطلح اللساني ومظاهر عجز الترجمة عن مواكبة المصطلح اللساني المتجدد، وسبل تداركه. تعاني اللسانيات العربية خللا على مستوى مصطلحاتها نتيجة للتطور المعرفي الكبير في التقدم التكنولوجي الذي عرفه العالم؛ كما أن ظهور هذه المصطلحات والمناهج الغربية نتاج تقدم فكري وتراكم معرفي خاص بالثقافة الغربية أثر في اللغة المترجم إليها (العربية) خصوصا عند محاولة تطبيقها على النصوص العربية أو إسقاطها على النظام اللغوي العربي . وفي هذا الصدد قال الجاحظ :"لا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة ، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيهما سواء وغاية (...) ، وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق والعلماء به أقل كان أشد على المترجم وأجدر أن يخطئ فيه ، ولن تجد البتة مترجما يفي بواحد من هؤلاء من العلماء "[10]. وعليه فقد كان تسليط الضوء على قضية مهمة تمثلت في الفوضى التي يتخبط فيها المصطلح اللساني في ظل التعدد المصطلحي الذي يكتنف هذا الحقل العلمي، كما أن سرعة ظهور مصطلحات جديدة لأشياء جديدة بات يشكل هاجسَ معظم الطلبة ؛ بل الأكثر من ذلك أصبح المصطلح علماً قائماً برأسه يدعى: علم المصطلح (Terminologie.) .

مفهوم علم المصطلح: أولى علماء العرب القدامى عناية بالغة الأهمية بعلم المصطلح، حتى إن لم يكن معروفاً عندهم بهذه التسمية المخصصة؛ أي "العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية، والألفاظ اللغوية التي تعبِّر عنها، أو لفظ موضوعي يؤدي معنى معيناً بوضوح ودقة"[11]. وقد أشار إليه كل من الجاحظ، وسيبويه والشريف الجرجاني وغيرهم ؛ فقد ذكره الجاحظ من خلال حديثه عن الخطابة عند العرب وفصاحتهم بقوله: "تخيَّروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا لذلك سلفاً لكل خلف، وقدوة لكل تابع"[12]. ويعني الجاحظ بقوله أن العرب كانوا ينحتون ويشتقون لوضع المصطلحات للمفاهيم التي كانت تدل في وقت مضى على معانٍ خاصة، وتغيرت بتغير الزمن .

و مع بدايات العصر الحديث أصبح المصطلح علماً قائما بذاته له أسسه وقواعده.

تعريف المصطلح : يطلق لفظ المصطلح للدلالة على مفهوم معين عن طريق الاصطلاح، الاتفاق والتوافق، وتصالح القوم :قام الصلح والسلام بينهم[13]." وهو العلم الذي يتناول بالدراسة الكلمات والعبارات الخاصة بفن من الفنون أو علم من العلوم ويصنفها ويعرفها ويدرس نشأتها وتطورها [14]".

إن الوعي بالمصطلح في الثقافة العربية ليس وليد النهضة الأدبية والنقدية الحديثة، وإنما جذوره ضاربة في القدم،. فيقول الجرجاني :"والاصطلاح عبارةٌ عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول.وقيل الاصطلاح إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر،لمناسبة بينهما.وقيل: الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى. وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر؛لبيان المراد. وقيل الاصطلاح: لفظٌ معين بين قوم معينين[15].

ومعنى المصطلح في العصر الحديث "مفهوم مفرد أو عبارة مركّبة استقرّ معناها أو بالأحرى استخدامها وحدّد في وضوح، هو تعبير خاص ضيق في دلالته المتخصصة، وواضح إلى أقصى درجة ممكنة، وله ما يقابله في اللغات الأخرى ويرد دائما في سياق النظام الخاص بالمصطلحات فرع محدد فيتحقق بذلك وضوحه الضروري"[16].فاهتمام العرب بالمصطلح لكونِه قضية أساسية تساعد على ضبط مفاهيم العلوم وتصنيف ظواهرها في مختلف الحقول المعرفية.

إشكالية توظيف المصطلح اللساني في مذكرات التخرج : يعود اهتمام عدد من العلماء بمفهوم المصطلح، لأنه يشكل حيزاً كبيراً لا يمكن لأي علم الاستغناء عنه " وبذلك يكون المصطلح مفتاحا لتعليمية العلوم ،واللغات ، والعارف كلها ، وإطارا موسوما في تحصيلها من غير انحراف مقصود ،ولا إجحاف مردود"[17]، فهو بمثابة الأرضية الخصبة التي تُبنى عليها ثقافة الأمم من خلال الاهتمام بلسانها، ومن ثم بمصطلحاتها وبمعنى آخر " المصطلحات هي علامات المعرفة ، وسمات تعرف بها العلوم ،وهي ألوان مختلفة مفتوحة تنتظم بها الحياة سكونا وحركة ،وتتعارف بها الأجيال . وتتحاور بها الحضارات ،وتتقدم بها الأمم"[18] . كما أن المصطلح اللساني كغيره من المصطلحات الأخرى التي وفدت إلينا من الثقافة الغربية؛ مما صعّب الأمر على الطلبة الباحثين في توظيفهم للمصطلح اللساني في مذكرات تخرجهم .

والملاحظ في الدّراسات المتعلقة باللسانيات التعبير عن وجود "أزمة" في المصطلح اللساني والتي يمكن إجمالها في:

- **التعدد:** تؤدي هذه الظاهرة في اللغة العربية إلى مشكلات كثيرة منها اللبس والاضطراب والفوضى الاصطلاحية باعتباره " ظاهرة غير صحية ظهرت بمحاولة هدم مصطلحات حديثة مستقرة، لم تكن ثمة ضرورة لإعادة النظر في هذه المصطلحات الأساسية التي كانت استقرت عند أكثر الباحثين"[19]. إذ يؤدي تعدد المؤلفات والبيئات المنشغلة بالدرس اللغوي ، وعدم التنسيق بينها، إلى جانب تعدد الترجمات ، وعدم التواصل بينها في مختلف الأقطار العربية. وكمثال على الفوضى المصطلحية مصطلح اللسانيات، ففي سوريا وفلسطين يطلقون عليه (الألسنية) وفي لبنان(علم اللسانة) للدلالة على الحرفة، وفي مصر والعراق يطلقون عليه (علم اللغة)، وهناك من يطلق عليه اسم(علم اللسان) وهذا في المغرب ،أما في الجزائر فكان شائعا بمصطلح اللسانيات[20].فقد بلغت المصطلحات المعرّبة والمترجمة لهذا المصطلح ثلاثة وعشرين مصطلحا، منها: علم اللغة، وعلم اللسان واللغويات، وعلم اللغة العام، والألسنية، واللسانيات، والدّراسات اللغوية الحديثة وغيرها"[21]، ومع أنّ الريادة أخذها مصطلح اللسانيات لما يتميز به من خصائص ومميزات. وقد أورد عبد السلام المسدي في كتابه " قاموس اللسانيات " مصطلحات (علم اللغة) التي استخدمها العلماء اللغويون المحدثون وهي كالآتي[22] :

اللانغويستيك / فقه اللغة/ علم اللغة/ علم اللغة الحديث/ علم اللغة العام/ علم اللغة العام الحديث/ علم فقه اللغة/ علم اللغات/ علم اللغات العام/ علوم اللغة/ علم اللسان/ علم اللسان البشري/ علم اللسانة/ الدراسات اللغوية الحديثة/ النظر اللغوي/ علم اللغويات الحديث/ الدراسات اللغوية المعاصرة/ اللغويات الجديدة/ اللغويات/الألسنية/ الألسنيات/ اللسنيات/اللسانيات.

تعددت تسميات هذا المصطلحlinguistique في اللغة العربية ، مثل " علم اللغة، اللغويات، الألسنية، الألسنيات، فقه اللغة، علم اللغة، علم اللسانيات...الخ"، وفي سنة 1978نظّمت الجامعة التونسية ندوة تحت عنوان " الألسنية واللغة العربية "وأجمع المشاركون و المداخلون في أشغال هذه الندوة على أن أيسر و أنسب المصطلحات المتداولة في البلدان العربية وأقربها إلى روح اللغة العربية، هو مصطلح اللسانيات، الذي تبنّاه الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، على قياس الرياضيات والفيزيائيات والكيميائيات، ولا نقول علم اللسانيات لأن اللاحقة "ات"تقابل اللاحقة "ique" ، التي تدل على معنى علم[23].

كما يمكن حصر الترجمات العربية لمصطلح البنوية structiralism أو structurl بما يأتي:" البنيوية، البنوية، التركيبية، البنائية، البنياني، الهيكلية، الشكلية، التشكيلية"[24]. وذكر يوسف وغليسي مصطلحات أخرى نذكر منها: البناوية، البنيوانية، والمذهب البني، والهيكلانية، والمنهج الهيكلاني، والستروكتورالية [25]، كما ناقش- يوسف وغليسي -هذه المصطلحات ليتوصل إلى أن منها ما هو تعريب ثقيل على اللسان كما في لفظة (الستروكتورالية)، ومنها ما هو مخالف لصياغة البنية العربية كما في(بنيوانية وبناوية)، أما البنائية فتقابل مصطلح [26]constructivisme.

وفي وقفة مع مصطلح التداولية (Pragmatique) كحقل علمي جديد، فإننا نجد له استعمالاته بمعنى " عملي " في اللاتينية (Pragmaticus)، وفي الإغريقية (Pragmaticos)[27].

إن أول من اعتمد هذا المصطلح – التداولية - في البحث العربي هو " طه عبد الرحمن " حيث يقول : "... ومن جملة ما فعلت أني وضعت مصطلحات كثيرة تبناها زملائي عن رضى وعن اقتناع علمي، منها المصطلح الذي نتداوله اليوم وهو التداول، فإني وضعت هذا المصطلح منذ سنة 1970، في مقابل (Pragmatique) ، ولو أن التداوليين الغربيين علموا بوجود هذه اللفظة في العربية لفضلوها على لفظة (Pragmatisme) لسبب واحد وهو أنها لا تفي بالمقصود من علم التداول، فلفظة التداول تفيد في العلم الحديث الممارسة تفيد تماما الممارسة وهي مقابل المصطلح التاريخي، وتفيد التفاعل في التخاطب ،- في عملية الخطاب تفيد التفاعل – ثم بالإضافة إلى ذلك إنها من مادة واحدة ولفظة الدلالة نفسها ، يعني أن التداول سوف يرتبط بالدلالة فإذن هذا هو التبرير العلمي الأول للمصطلح التداولي"[28].

ويخلص طه عبد الرحمن إلى كون مجال التداول يحمل معنى التواصل بين المخاطبين والتفاعل فيما بينهم، كما يستوجب الحديث عن التداولية التمييز بين مصطلحين اثنين ارتبط توظيفها بهما ،وهي (البراغماتية) التي عدت مرادفا للتداولية، ومصطلحا (للذرائعية) الذي استعمله البعض للدلالة على البراغماتية نفسها.

وعليه فأول من اقترح مصطلح التداولية مقابلا للمصطلح الغربي (Pragmatique) هو طه عبد الرحمن ، وقد تبناه أحمد المتوكل واستعمله. كما أقر نعمان بوقرة هذا المصطلح (التداولية) مقابلا للمصطلح الأجنبي براغماتية (Pragmatique)، مع أن لهذا المصطلح مقابلات عربية أخرى أقل شهرة في نظره منها : الذرائعية والنفعية والتخاطبية والمقاماتية والوظائفية، وذلك لما

يتضمنه مصطلح تداول من دلالة على التفاعل والواقعية والممارسة والتعالق وكلها معان يسعى هذا العلم غلى استكشافها في نظام اللغة واستعمالها[29]. وقد اختلف الدارسون في ضبط المقابل الترجمي لهذا المصطلح الذي يغطي جميع مساحته المفاهيمية :

فعبد الرحمن الحاج صالح قابل (Pragmatique) بالاستعمالية.وقابلها عادل فاخوري بعلم التداول في كتابه تيارات في السيمياء ص 81

وقابلها محمد عناني في معجمه المصطلحي بـ (التداولية) (السياقية) أو (المواقفية) ص 89. وقدم مترجما كتاب (تحليل الخطاب) ليول وبراون مقابلا هو (علم المقاصد) ص 32.[30]

ويقول محمد محمد يونس : " أفضل ترجمة مصطلح (Pragmatics) بعلم التخاطب وليس بالتداولية أو النفعية أو الذرائعية "[31] ، وهذا ما ذهب إليه مسعود صحراوي في هامش له في كتابه (التداولية عند العلماء العرب)، فيقر أن التداولية ليس ترجمة لمصطلح (Pragmatisme) الفرنسي لأن هذا الأخير يعني الفلسفة النفعية الذرائعية .[32]

وعلى الرغم من ارتباط التداولية بكثير من العلوم فقد عرضت لها كثير من الترجمات في اللغة العربية منها: التبادلية، الاتصالية، النفعية والذرائعية والمقصدية والمقامية إلى جانب التداولية،وأفضل هذه الترجمات التداولية ، إذ هي من تبادل اللغة بين المتكلم والمخاطب أي التفاعل القائم بينهما في استعمال اللغة[33]. " فالجوانب التداولية للغة تتعلق بخصائص استعمالها للحوافز النفسية للمتكلمين ، ردود فعل المخاطبين ، النوع المجتمعي للخطاب ، موضوع الخطاب ... إلخ بالمقابل للجانب النحوي الخواص الشكلية للأبنية اللسانية والدلالية والعلاقة بين الكيانات اللسانية والعالم"[34]

كانت الترجمات متفقة أحيانا ومختلفة أحايين أخرى بناءً على وجهة نظر كل مترجم ،وثقافته ومدى معرفته لطبيعة الحقل العلمي المخصص له والكاشف عن حدوده وأبعاده. ومما لا شك فيه أن سبب هذا التعدد الاصطلاحي يعود إلى غياب التنسيق بين المجامع اللغوية. والمؤسسات الوطنية التي تعنى بالترجمة والمصطلحات.

- **تعدد اتجاهات وضع المصطلح**: نتيجة لظهور العديد من المجامع اللغوية في بعض أقطار الوطن العربي ومما يعني أنّ كل مجمع وله منهج يتبعه في وضع المصطلح ، فمنهم من يرى ضرورة الاستعانة بالتراث ومحاولة الاستفادة منه، وهناك من يرفض مطلقا إحياء الألفاظ القديمة وإطلاقها على متصور مستحدث، ومنهم من يحذر من ذلك. فعبد القادر الفاسي الفهري مثلا يحبذ الابتعاد عن استعمال المصطلح القديم في مقابل المصطلح الدخيل، لأن"توظيف المصطلح القديم لنقل مفاهيم جديدة من شأنه أن يفسد علينا المفاهيم الواردة و المفاهيم المحلية على السواء ... "[35]. وعليه فإن شحن المصطلحات الجديدة بمفاهيم قديمة يحجب عن الفرق بينهما.

- **البطء في وضع المصطلح**:وهذا ما يؤدي إلى نتائج سلبية عديدة منها استعمال المصطلح الغربي كما هو بحكم أنّه لا وجود لمقابل له في اللغة العربية.

-**الاعتماد في كثير من الأحيان على تعريب المصطلحات اللسانية**: فقد يتعذر الحصول عليه في شكل كلمة واحدة، حيث أنه يفضل اللفظ المعرّب على المركب بأكثر من كلمتين، وإن كان لابد من تجنب التعريب واللجوء إليه كآخر الحلول وذلك لإبعاد الدّخيل عن اللغة العربية[36].

- **طول صياغة المصطلح**: ومن أمثلة ذلك (synchronie) دراسة اللغة في حالة استقرار، (Diachronie)دراسة اللغة في حالة تطور ،(Acoustique) دراسة الموجات اللغوية[37].

–غياب المؤسسات المتخصصة والمهتمة بحقل المصطلح اللساني: يرى عبد الملك مرتاض" أن مراسلي المجامع لا يراعى في اختيارهم الشروط العلمية الحقيقية ولكن الشروط السياسية، أو ما يشبه الشروط السياسية غالبا... وربما يعين في طبقة المراسلين من لا علم له بالعربية ومن لا يشغل بتحقيقها ولا بضبط أبنيتها قطّ وهذه السيرة المزرية التي آل إليها بعض هذه المجامع العربية التي تكابد الخمول والكسل هي التي أغرت أعداء اللغة في المشرق والمغرب لينادوا بإحلال اللغات الأجنبية محل العربية في تدريس العلوم والطب... "[38]. والملاحظ مما سبق أن المصطلح اللساني فقد أهم خصيصة من خصائص الاصطلاح وهي ضرورة بنائه على الاتفاق والتوحّد وعدم التعدد .

كما أن هناك مشاكل أخرى باعتبار اللسانيات "تعاني ما تعانيه العلوم المقترضة من مشكلات تتصل بوضع ثمرات الدرس الأجنبي في متناول الباحثين العرب من حيث اللغة والأسلوب والطرق المنهجية"[39]، ومن هذه المشاكل:

–عدم الاتفاق على منهجية محددة عند وضع المصطلح؛ وحداثة المصطلحات اللسانية قياساً على المصطلح العلمي الذي صار له قِدم نسبي وشيوع مقبول.

–كثرة المصطلحات المتداولة في الكتب والدوريات والمؤتمرات اللسانية وتداخلها .مما شكّل تضخما هائلا في المصطلحات وتراكمها ، إذ أصبح المصطلح اللساني اليوم يعاني من" التضخم وصعوبات في الصياغة، فمصطلح (synchronic) مثلا وضعت له مقابلات عربية كثيرة منها : متزامن، تزامني، وصفي، متعاصر، متواقت، آني، ثابت، سانكروني، مستقر، أفقي"[40] . والأمر ذاته بالنسبة لمصطلح (diachronic)فقد وضعت له مقابلات عربية عديدة منها: تطوري، متعاقب، تعاقبي، تاريخي، زماني، تعاقبية) .

كما يعاني الدارسون من كيفية التعبير عن المصطلح الواحد في اللغة العربية، فمثلا مصطلح(فونولوجي) منهم من أبقاه وعربه إلى (فونولوجيا)، ومنه من عبر عنه بمصطلح (علم الفونيمات)[41].

ومما لا شك فيه أن المصطلح اللساني في الدراسات اللغوية الحديثة يعاني من عقبات عديدة وصعوبات تمثلت في تعدد الترجمات للمصطلح الواحد في اللغة الأصلية " وهذا من شأنه أن يجعل الاتصال ومتابعة الأمر عسيرا ، كما يستهلك من إمكانات اللغة العربية ما يمكن أن يستغل في بناء مصطلحات أخرى "[42].

ويرى أحمد مختار عمر في هذا الصدد أن مشكلة وضع المصطلح اللساني تعود إلى عدم الانضباط والتحكم من قبل الاتجاهات المكلفة بصوغ المصطلح من خلال بحث له بعنوان " المصطلح الألسني وضبط المنهجية " إلى أن أهم المشكلات التي يعاني منها المصطلح اللساني تتمثل فيما يلي[43] :

أولا: ما انحدر إلى المصطلحات اللسانية الحديثة من مشكلات عن المصطلحات القديمة التي لمن يراع في وضعها المواصفات الضرورية ، فجاءت مختلفة من عدة جهات ، مثل :

–استخدام المصطلح الواحد في أكثر من مفهوم أو – إطلاق أكثر من مصطلح على المفهوم الواحد.

ثانيا: ما يتحمله المصطلح اللساني الحديث من مشكلات تتعلق بالمصطلح العلمي بوجه عام، كتعدد مصادر وضع المصطلح من مجامع لغوية وعلمية، وهيئات ومنظمات واتحادات علمية ومهنية وصناعية، وكذا افتقار عنصر التنسيق بينها، على الرغم من وجود ما يسمى بمكتب تنسيق التعريب في العالم العربي بالرباط .فرغم تأسيس العديد من المجامع اللغوية والهيئات العلمية، وتنظيم الكثير

من المؤتمرات والندوات اللسانية والمصطلحية، إلا أن الدراسات اللسانية لا تزال تتخبط في مشكلة وضع المصطلح اللساني الملائم للمصطلح الأجنبي، ويظهر ذلك في التضارب الاصطلاحي بشكل جلي في المنتديات والمؤتمرات اللسانية.

ثالثا: ما ينتقل إلى اللغة العربية من مشكلات تتعلق باللغة واللغات المنقول عنها فمثلا المصطلحان phonology ، phonétics كما يشير أحمد مختار عمر في بحثه أنهما اتخذا عدة تفسيرات على الرغم من كثرة ترددهما في علم اللغة الإنجليزي، فوقع التباين حول مفهوم هذين المصطلحين، لينتقل هذا الاختلاف إلى الدراسات اللغوية العربية، فاستعمل اللسانيون العرب مفهوم هذين المصطلحين كل حسب دراسته وممارسته الألسنية دون مراعاة البعد الدلالي للمصطلحين .

كما يمكن ذكر أسباب أخرى تؤكد أزمة وإشكال المصطلح اللساني الحديث[44]:

-لجوء كثير من اللسانيين إلى المصطلح الأجنبي وحده إذ يسعفهم بما يبتغون، أو إلى المصطلح الأجنبي، وإلى جواره ومرادفه باللفظ العربي توخيا للدقة ،وأمانا من اللبس والغموض .

-عدم التقيد في معرفة دلالة المصطلح بين الدرس اللساني القديم والحديث، فمثلا مصطلح Point of Articulation يقابله: مكان النطق، نقطة النطق، مخرج النطق، فالمقابل الثالث ملتزم فيه المقابل التراثي، أما المقابلان الأول والثاني فملتزم فيهما الترجمة .

- الافتقار إلى الدقة في وضع المصطلح لعدم فهم ما يعبر عنه .

-استخدام مصطلحات قديمة بمعنى جديد مما يؤدي إلى اللبس بين المعنى القديم والجديد.

-قصور المصطلح الذي يؤدي إلى البحث عن مصطلح آخر يقوم مقامه، وهذا يؤدي بالضرورة إلى تعدد المقابلات للمفهوم الواحد.

ولذلك سعت المجامع العربية ومختلف الهيئات المختصة إلى فكرة توحيد المصطلحات التي من شأنها أن تحسم كثيرا من الخلافات الناشئة بين العلماء نتيجة هذا التشتت الاصطلاحي، وعلى سبيل المثال عندنا في الجزائر المجمعي عبد الرحمان الحاج صالح الذي بيَّن بأن طريقة وضع المصطلح لا ينبغي أن تخرج عن النقاط الآتية:

-التعريب اللفظي للمصطلح الأجنبي الترجمة الحرفية تخصيص أو ارتجال لفظ له بكيفية عفوية تخصيص لفظ عربي بعد البحث عنه في القواميس القديمة[45]

ولو أخذنا على سبيل المثال لا الحصر مجمع سوريا في وضعه للمصطلح نجده يتبع الطريقة التالية[46]: تحوير المعنى اللغوي القديم للكلمة العربية وتضمينها المعنى العلمي الجديد؛ واشتقاق كلمات جديدة من أصول عربية أو معربة للدلالة على المعنى الجديد؛ وترجمة كلمات أعجمية بمعانيها؛ وتعريب كلمات أعجمية وعدُّها صحيحة.

خاتمة :بعد استقرائنا لواقع المصطلح اللساني وكيفية توظيفه في مذكرات التخرج من لدن الطلبة الباحثين نجده غير مرض، ويرجع سبب ذلك إلى إشكالية ترجمة المصطلحات التي اقترنت بعدم وجود منهجية دقيقة إلى جانب العفوية التي قادت إلى كثير من التشتت والاضطراب، خصوصا وأن أول مظهر من مظاهر اكتمال العلوم واستقلالها، وتكامل رصيدها الفني هو فرضها لمنظومة اصطلاحية. لذلك ارتأيت ألا يقف الأستاذ أمام هذه المشكلة مكتوف الأيدي بل يحرص على تقديم جملة المصطلحات للمفهوم الواحد ثم يؤثر على انتقاء الأقرب منها مبينا الحجة في الانتقاء وذلك لتضييق الفجوة القائمة بين الطلبة في استخدام المصطلح ، والتمكن من الاتصال ببعضهم بعضا أثناء توظيفهم للمصطلحات .

الهوامش:

[1] أحمد يوسف: اللسانيات وواقع اللغة العربية، "مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية"، المجلس الأعلى للغة العربية (الجزائر) أيام 6 –8 نوفمبر 2000، ص 260.

[2] عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب (تونس)، 1984، ص 55.

[3] ابن خلدون: المقدمة، دار الكتاب اللبناني (بيروت)، 1979، ص 1021.

[4] ر. هـ. روبتر: موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت) 1997، ص 318.

[5] كاترين فوك، وبيار لي قوفيك: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ترجمة المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية(الجزائر) 1984، ص 17.

[6] عبد السلام المسدي: ما وراء اللغة (بحث في الخلفيات المعرفية) مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، (تونس) 1994، ص 09.

[7] ينظر: عبد السلام المسدي: ما وراء اللغة (بحث في الخلفيات المعرفية) ،ص 10

[8] أحمد يوسف، اللسانيات وواقع اللغة العربية، ص 257.

[9] محمد الحناش، البنيوية في اللسانيات، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء (المغرب)، ط1، 1980، ص 06.

[10] عمرو بن بحر الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، دار الجيل(بيروت)، د ط ، 1955، ج1، ص 75.

[11] صالح بلعيد، المؤسسات العلمية وقضايا مواكبة العصر في اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر) 1995، ص 05.

[12] عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة (مصر)، ط 3، ج 1، (د ت)، ص 102.

[13] شحادة الخوري: " دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب " دار طلاس للطباعة والنشر (دمشق)، ط1، 1989،ص172.وينظر عبد القادر الفاسي الفهري "المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي "،ط1، 1998،ص137.

[14] إميل يعقوب وآخرون :" قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية"دار العلم للملايين (بيروت)، ط1، 1987،ص279

[15] الشريف الجرجاني، (كتاب التعريفات) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، (بيروت)، الطبعة: الأولى 1983م، ص 28.

[16] محمود فهمي حجازي،الأسس اللغوية لعلم المصطلح،دار غريب للطباعة والنشر(مصر) ،د.ت،ص12.

[17] عمار ساسي: المصطلح في اللسان العربي ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع (الأردن) ، ط1، 2009، ص 4.

[18] عمار ساسي: المصطلح في اللسان العربي ،ص 4- 5.

[19] محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب (القاهرة) د.ط، 1993، ص:288

[20] ينظر: محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح،ص 20.

[21] عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتب، 1984، تونس، ص: 72.

[22] نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية (مصر)، دط، 2001، ص 33.

[23] ينظر: عمار ساسي، اللسان العربي و قضايا العصر، د.ط، دار المعارف (الجزائر)،2000، ص18.

[24]حيدر غضبان محسن الجبوري: إشكالية المصطلح وأثرها في تصنيف المناهج اللسانية ، (الوصفية والبنوية والتوليدية واللسانيات) أنموذجا ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية ،كلية الآداب ، جامعة بابل (العراق)، قسم اللغة العربية ، العدد 24،كانون الأول ، 2012، ص 540.

[25]ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ،منشورا ت الاختلاف (الجزائر) ، ط1، 2008، ص126- 130.

[26]ينظر:يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، ص131.

[27]ينظر : عبد الحليم بن عيسى، النص التراثي وآليات قراءته التداولية (نقد النثر لقدامة بن جعفر نموذجا) ، مجلة دراسات أدبية ، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلمية (الجزائر) ، العدد 3 ، جمادى الاولى ، 1430، جوان 2009 ،ص 43.

[28]طه عبد الرحمن،البحث اللساني والسيميائي ، الدلاليات والتداوليات أشكال وحدود ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس (الرباط) ،1401، ص 299.

[29]نعمان بوقرة ، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع(الأردن) ، 2002، ص 161.

[30]بلعابد عبد الحق، تداوليات الخطاب القانوني ، ملتقى علم النص ، مجلة اللغة والأدب ،قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الجزائر (الجزائر) ،العدد 17 ، جانفي ، 2006، ص 265

[31]محمد محمد يونس، أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، (الكويت) ، ع 1 ، م 31، سبتمبر 2003، ص 173.

[32]مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت)، ط1، يوليو ، 2005،ص 15.

[33]محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة ، (مصر) ط1، 2002، ص 52.

[34] Jean Dubois et autres , Dictionnaire de linguistique ,Libraire Larousse ,Paris 1973 ,P 388.

[35]عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات و اللغة العربية، منشورات عويدات(المغرب)، ط1، 1986م، ص 396.

[36]أحمد مختار عمر، محاضرات في علم اللغة الحديث، عالم الكتب (القاهرة) ، ط1، 1995، ص:38.

[37]ينظر: أحمد محمد، قدور، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، ص:31.

[38]عبد الملك مرتاض، اشكالية المصطلح في اللسانيات و السيميائيات، مجلة المجمع الجزائري في اللغة العربية، ع1 2005، (الجزائر)، ص ص: 27-28.

[39]مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر (سوريا)، ط 2، 1999، ص 28.

[40]بوطارن محمد الهادي ، أحمد مدور : قراءة لقاموس المصطلحات اللسانية (فرنسي – عربي) ، الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي ، يومي 9 / 10 مارس 2011، جامعة قاصدي مرباح (ورقلة) ، ص 364.

[41]ينظر : محمد الهادي ، أحمد مدور : قراءة لقاموس المصطلحات اللسانية (فرنسي – عربي) ، ص 364.

[42]مصطفى طاهر الحيادرة : من قضايا المصطلح اللغوي العربي (نظرة في توحيد المصطلح واستخدام التقنيات الحديثة لتطويره) ، عالم الكتب الحديث (الأردن) ، ط1، 2003، ج2، ص 5.

[43]ينظر : احمد مختار عمر : المصطلح الألسني وضبط المنهجية ،ص 14.

[44]ينظر: عبد الحميد مصطفي السيد، دراسات في اللسانيات العربية، ص 184.185.

[45]صالح بلعيد، المؤسسات العلمية وقضايا مواكبة العصر في اللغة العربية، ص 11.

[46]صالح بلعيد، في قضايا فقه اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر)، 1995، ص 259.